الدرس الثالث

مقدمة لسفر التكوين

1. خلفية لاهوتية

يظهر سفر التكوين كأول سفر في الأسفار القانونية من الكتاب المقدس. ويتبع معظم الباحثين المحافظين الرأي المقبول عموماً أن موسى هو كاتب معظم الأسفار الخمسة، بما في ذلك سفر التكوين. ولهذا، وعند تناولنا للمادة المُدوَّنة في سفر التكوين، يجب علينا أن نضع في اعتبارنا أن سفر التكوين يُكتب من منظور الأمّة العبرية التي تغادر مصر لتدخل أرض كنعان تحت قيادة موسى. وعلى هذا فإن سفر التكوين شهادة لأمة إسرائيل الفتية حول أصلها واتخابها لتكون جزءاً من برنامج الله. لم يُكتب سفر التكوين إذاً ليقدّم لنا سجلاً علمياً أو تاريخياً عن أصل البشر (على الرغم من صحة المعلومات المقدمة تاريخياً). فمضمون السفر هو في المقام الأول لاهوتي، كما تبيّن عملية قراءة سريعة له.

تركيز كاتب السفر	
أحداث تمهيدية كيف فسدت الخليقة وتمردت الشعوب	إعطاء المأمورية لإبراهيم ونسله أمة فريدة يريدها الله أن تكون قناته للبركة
الأصحاحات ١-١١	الأصحاحات ١٢-٥٠

توحي طريقة تأليف السفر أن اهتمام الكاتب لا يقتصر على تقديم معلومات تاريخية. فمن بين إصحاحات السفر الخمسين، يتناول 39 منها إبراهيم ونسله. ومن الواضح أن الأصحاح 12 يشكل مفتاح فهم الكتاب المقدس كلّه، ويتضمن دعوة إبراهيم لترك موطنه ليبدأ أمّة جديدة. وتعطى هذه الدعوة لإبراهيم على شكل عهد. فالله يقطع عهداً معه واعداً بأن يجعله أمّة جديدة وعظيمة وأن يبارك العالم من خلاله.

والتطبيق الفوري لهذا متعلق ببني إسرائيل الذين يرزحون تحت نير العبودية في مصر. وعندما يشير موسى إليهم ليتركوا عبودية فرعون، ويتخلوا عن دور العبيد، والانطلاق في مغامرة إلى أرض جديدة، لا بد لهم أن يعرفوا من هذا الذي يدعوهم إلى هذه المهمة العظيمة. إذْ لا "ينهض المرء ببساطة ويلقي عنه أصفاد فرعون مصر" دون سبب وجيه. فقد تطلبت هذه الدعوة إجابة مشروعة عن عدة أسئلة. أيّ

إله هذا الذي يشكّلنا ويجعلنا أمّة جديدة؟ أي حق له في فرض إرادته على كل الآلهة الأخرى في العالم الوثني، خاصة مصر؟ وما الذي يعطينا الحق في أخذ أرض كنعان وإخضاع السكان هناك؟ وأهم من ذلك كلّه، أي ضمان لدينا أن الله سيكون معنا ليحقق هذا كلّه؟ أجاب سفر التكوين عن هذه الأسئلة. ولهذا فإنَّ سفر التكوين لم يكتب كمجرد كتاب تاريخ، ولكنه كُتب أيضاً كأطروحة لاهوتية. يقول آلن روس،

فلسفة التاريخ هذه لاهوتية بشكلٍ رئيسي. فالكاتب مهتم بتقديم الخلفية التاريخية لعهد الله مع إسرائيل من منظوره اللاهوتي. وهو لهذا لا يختار إلاّ الأحداث التي لها تأثير على هذا الموضوع تُختار لتكون جزءاً من الرواية الكتابية.[1]

وهكذا يدور سفر التكوين حول العهد و الأمّة. فأي إله هذا الذي يدعو بني إسرائيل إلى الخروج من مصر إلى أرض أُخرى؟ إنه إله الخليقة الوحيد الفريد ! لجأ المصريون إلى آلهة تمثل الطبيعة، أمّا إله إسرائيل فخلق عناصر الطبيعة. فما يعبده الوثنيون ليس آلهة مطلقاً. لكنهم يعبدون ما خلقه إله إسرائيل، ولهذا فإنه لا حاجة ببني إسرائيل أن يخشوا ما يتكل عليه الوثنيون. وفضلاً عن ذلك، فإن إله إسرائيل سيطر على ما خلقه. وهكذا فإن مغادرة أرض مصر التي ستؤدي إلى استياء فرعون ليس عملاً غير معقول، بل إنه التنفيذ الأمين لخطة الله. فقد سبق أن وعد بأن يصنع من إبراهيم أمّة ستُعطى أرض كنعان. وكان انتخابهم كأمة أمراً قرره الله نفسه. فكما خلق الكون المنظم وأوجد كل الخليقة، فإنه قادر على خلق أمَّتِه وأن يرسّخها في أرض الموعد.

وعندما يوعز موسى لبني إسرائيل بمغادرة مصر، فإنه يقول لهم إن يهوه أرسله. فالدعوة إلى المغادرة ليست صادرة عن موسى، وإنما عن يهوه. ويهوه هو الإله المتسيد الأسمى للخليقة، بالإضافة إلى أنه هو الذي اختار الأمة وأوجدها من خلال إبراهيم، وهو الذي يضمن مستقبلها ! وهكذا فإن الحكومة الإلهية تؤسَّس على إله الخليقة المتسيد.

عند دراستنا لمادة سفر التكوين، يجب أن نسعى إلى اكتشاف الفكرة اللاهوتية التي يطرحها الكاتب. يجب أن نسأل لماذا يريد موسى أن تعرف أمّة إسرائيل الجديدة هذه المادة، ولماذا وصفها بهذه التعابير؟ وفضلاً عن ذلك، عندما نفهم قصده، يجب أن نسعى إلى فهم صلته بنا اليوم. فعلى مستوى عام، يؤكد سفر التكوين هوية الإله الذي يدعو إسرائيل كشعب ليفعل إرادته وكقناة لبركته للعالم، كما يؤكد سلطته. ويمكن أن يكون لهذا صلة بمأموريتنا في العصر الحاضر للانطلاق والمناداة بالبشارة. ويتطلب القيام بهذا إحساساً بالدعوة

[1] Allen Ross, "The Nature of Genesis," (class lecture notes, Dallas Seminary, 1979), 23

والسلطة. ومن وضعنا الأفضل، نرى أنَّ لدينا سلطة الله الذي هو إله الخليقة (وهو لهذا فوق الكل ومسيطر على الكل) بالإضافة إلى ضمان أن ربنا وعمله *على الصليب قد نالا مصادقةً وتأكيداً عليهما* بقيامة يسوع المسيح!

2. دور سفر التكوين في الأدب التاريخي

يقول إليوت جونسون إن القصد من الأدب التاريخي للعهد القديم هو:

"لتنمية الإيمان بيهوه
الذي يعمل على ترسيخ حكمه على النسل الذي اختاره
لكي يبارك العالم في نهاية الأمر من خلال هذا النسل."[2]

إن جزءاً أساسياً من قصد الله الشامل هو خلق "النسل" الذي سيعمل من خلاله. ولاشك أن هنالك حاجة لمثل هذا النسل. تضعنا الأصحاحات 1–11 من سفر التكوين في مواجهة الحقيقة المؤلمة للتأثير السرطاني للخطيّة. لم يسع الإنسان وراء الله ولم يقترب من خالقه. لكن الإنسان تمرَّد على الله، مما أدى إلى اضطرار الله لإحباط هذا التمرُّد بتشتيت الأمم وتغريقها (تكوين 10–11). نتيجةً لذلك فُقِدَت البركات. وقد كانت نيّة الله هي أن يشرك الإنسان في سلطانه –أن يشترك الإنسان في ممارسة السلطة مع الله على الخليقة. وباختصار، قصد الله أن يحكم الإنسان معه، لكن بأسلوب أقل أو خاضع له (انظر تكوين 1: 26–28). أراد الله أن يشرك الإنسان المطيع الخاضع والعابد له في حكمه وبركاته.

وفي ضوء تفرّق كل الأمم في تكوين 11، كان ضرورياً أن يقيم الله أمّة واحدة تخضع له وتصبح قناة بركته لكل شعوب العالم الأخرى. هذه هي نقطة التركيز في الأسفار الخمسة. ويعبر سيجال عن هذه الفكرة كما يلي: "... إن الفكرة المركزية للأسفار الخمسة هي اختيار

[2] ملاحظة صفّية، كلية دالاس للاهوت، 1976.

إسرائيل من بين الأمم وتكريسها لخدمة الله وشرائعه في أرض معينه منه."[3] ويتابع قوله: "إن الحدث المركزي في تطور هذه الفكرة أو الموضوع هو العهد الإلهي مع إبراهيم ووعده الثنائي بأن يجعل من ذريته شعب الله وأن يعطيهم أرض كنعان كميراث أبدي."[4]

3. غرض سفر التكوين

هدف سفر التكوين بشكل رئيسي هو تأسيس الثيوقراطية (الحكم الإلهي، الحكم الديني)، خاصة أن أصل الأمة يعود إلى علاقة العهد غير المشروط مع يهوه، الله الخالق. وبالنسبة لجيل الخروج، كما هو الحال للأجيال التالية أيضاً، كان القصد هو فرزهم للإيمان والطاعة من خلال تعريفهم بأصول الأمة. ويبيّن سفر التكوين لا شرعية وجود الأمة فحسب، بل أيضاً ضرورة تجاوبهم بالإيمان مع وعود يهوه.

واختيار إسرائيل حسب العهد الإبراهيمي وتأسيسها فيه هما أساس مغادرتهم مصر إلى كنعان. غير أن وسيلة الحصول على وعود يهوه هي الإيمان. والإيمان هو الدرس العظيم الذي يعلّمنا إياه تكوين 12–50. وفي ضوء هذا، يمكننا أن نصوغ ملخصاً لأطروحة سفر التكوين:

تعريف الأمة بأصلها في الاختيار والوعد.

تعرّف الأصحاحات 1–11 الأمة بأصلها في الاختيار. ويبدو أن هذه الأصحاحات تهدف إلى شرح "سبب فرز عبادة شعب خاص، هو إسرائيل، لله في العالم، في أرض خاصة هي كنعان."[5]

تعرّف الأصحاحات 12–50 الأمة بأصلها في الوعد. إذ يفرز يهوه الناس لنفسه بالوعد، أي أن البركة الموعودة تحصَّل بالإيمان الذي يُفرَز الناس من خلاله ليهوه.

4. بنية سفر التكوين

تعتمد بنية السفر على مخطط *tôl^{e}dôt* (توليدوت). إن إحدى الملاحظات الهامّة حول سفر التكوين هي استخدام الكاتب المتكرر لهذه الكلمة الهامّة في بنية السفر، *tôl^{e}dôt* توليدوت. وهي تأتي عادة ضمن عبارة "هذه مواليد . . .". وصِيَغ *tôl^{e}dôt* (توليدوت) هي أساس بنية هذا السفر.

[3] Segal, The Pentateuch, 23

[4] المرجع السابق.

[5] Segal, 28

إن كلمة *tôlᵉḏôṯ* (توليدوت – مواليد) مشتقة من الكلمة العبرية *yālaḏ* ילד التي تعني "يحمل أو يولِّد" مع جذر هِفعيل (hiphil) الذي يعبّر عن فكرة أن "يلد، أن يُنجِب." ويبدو أنها لا بد أن تشير إلى ما يُنتَج، وهكذا يصوّر كل عنوان جديد يحمل كلمة *tôlᵉḏôṯ* (توليدوت) النتيجة التاريخية لسلف معين. ويمكننا أن نعيد صياغة هذه العبارة على النحو التالي، "هذا هو ما حدث لـ. . .، أو هذا هو ما آل إليه مصير. . . ." ويوضح روس هذه الفكرة في ما يتعلق بتكوين 2: 4:

> إذاً يمكننا أن نفهم الإشارة إلى تكوين 2: 4 على أنها النتيجة التاريخية للعالم (cosmos)، وتقدم 2: 4–4: 26 للقارئ ما حدث للسماء والأرض. وطبعاً ما يتبع ذلك هو قصة السقوط، وقتل هابيل، وتطوّر الخطية مع الحضارة. ولن تقدم القصة رواية خلق أخرى؛ وستُكمِل الرواية من نقطة ذروة الخليقة (التي تكرَّرت في تكوين 2) إلى فساد الخليقة بالخطية. وهذا هو ما حدث لها.[6]

وهكذا تسبق كلمةُ توليدوت قسماً جديداً وتشير إلى نقلة جديدة. وليس صاحب المواليد توليدوت بالضرورة الشخصية المركزية للرواية (مثل تارح في 11: 27) فإبراهيم هو الشخصية الأهم في هذا القسم. والفكرة من كل توليدوت هو القول: "هذا هو ما حدث لـ. . . ." عندما ننظر للتوليدوت العديدة المذكورة، نلاحظ عملية تضييق: نوح، سام، إلخ إلى إبراهيم إلى أن نصل إلى يعقوب ونسله. من الواضح أن التركيز هو على النسل المختار الذي سينتهي في يسوع المسيح. ومن حين إلى آخر تُذكر توليدوت شخصٍ معين خارج النسل المختار كمقابلةٍ مع النسل الوارث للموعد. تُذكر هذه العائلات (أي إسماعيل وعيسو) بسبب ارتباطاتها التاريخية مع النسل المختار. توضع توليدوت إسماعيل قبل توليدوت إسحق. وكذلك ترد توليدوت عيسو (أبي الأدوميين الذي بعد فترةٍ صاروا أعداءً جداً لإسرائيل) قبل توليدوت يعقوب. يقدّم الكاتب في هاتين الحالتين النسل الذي لن يحمل البركة الإبراهيمية وينقلها قبل إعطاء معالجة أوسع وأشمل للنسل المختار الذي يحمل البركة وينقلها.

توجد ملاحظة أخرى جديرة بالانتباه، ألا وهي التدهور الذي يحدث ضمن كل قسم يتضمن المواليد (*tôlᵉḏôṯ* "توليدوت"). إذ نجد بعد كل توليدوت تدهوراً. فتوليدوت 2: 4 متعلق بسؤال "ماذا حدث للسماوات والأرض؟" والجواب هو أن الخطية دخلت الصورة مصحوبة بسقوط الإنسان والدينونة، ووقوع الأرض تحت لعنة. ويستمر هذا النمط، حتى بعد تكوين 12: 1–2، مع توتر دائم بين فكرتي البركة واللعنة، حيث ترتبط البركة بشكل رئيسي بوعود الذرية والأرض. ومن تكوين 12 فصاعداً، يوجد جهاد دائم للبلوغ إلى مكان بركة الراحة، لكن التدهور يرافق كل رواية تالية، فالآباء التالون لا يرتفعون إلى مستوى الآباء الأولين. وما يدهشنا هو الحالة غير

[6] Allen Ross, "The Literary Composition of Genesis" (class notes, Dallas Seminary, 1979), 7.

المتوقعة للعائلة المختارة في نهاية سفر التكوين! فنحن نجد العائلة في مصر، لا في أرض البركة. يعبّر كدنر عن مصيبتها على النحو التالي: "لقد سافر الإنسان من جنة عدن إلى تابوت، وسافرت العائلة المختارة بعيداً عن كنعان إلى مصر. ."[7] بدأ الله برنامجه بإبراهيم. وفي نهاية المطاف نما إيمان إبراهيم وبرهن نفسه، لكن مع انقضاء كل جيل من الآباء، كان هنالك انحدار أو انحطاط في علاقتهم الإيمانية بيهوه. وينتهي سفر التكوين بملاحظة حزينة لوجود يعقوب في كفنه في مصر، بعيداً عن أرض الموعد والبركة. وفي ختام سفر التكوين نجد النسل، لكننا لا نجد الأرض.

تعتمد البنية على إشارات إلى المواليد *tôl^{e}dôt* (توليدوت)

1.	(الخلق)	1: 1–2: 3
2.	*tôl^{e}dôt* توليدوت السماوات والأرض	2: 4–4: 26
3.	*tôl^{e}dôt* توليدوت آدم	5: 1–6: 8
4.	*tôl^{e}dôt* توليدوت نوح	6: 9–9: 29
5.	*tôl^{e}dôt* توليدوت سام وحام ويافث	10: 1–11: 9
6.	*tôl^{e}dôt* توليدوت سام	11: 10–26
7.	*tôl^{e}dôt* توليدوت تارح	11: 27–25: 11
8.	*tôl^{e}dôt* توليدوت إسماعيل	25: 12–18
9.	*tôl^{e}dôt* توليدوت إسحق	25: 19–35: 29
10.	*tôl^{e}dôt* توليدوت عيسو	36: 1–37: 1
11.	*tôl^{e}dôt* توليدوت يعقوب	37: 2–50: 26

[7] Derek Kidner, *Genesis*, Tyndale Commentaries, 224.

5. فكرة البركة/اللعنة

يوجد عامل هام آخر في السفر، ألا وهو الحاجة إلى بركة من الله والرغبة في ذلك. ففي البداية يختبر الإنسان ملء بركة الله. فالإنسان مخلوق على صورة الله ويعطى السلطة ليحكم ويمارس السيادة على الخليقة حافظاً لِ "راحة الله." غير أن سقوط الإنسان يحرم الرجل والمرأة من هذه البركة الرائعة، وشوّهت طبيعة الخطية الفاسدة "الصورة" التي خُلق الإنسان عليها، ويخسر الإنسان سيادته وحكمه (انظر عبرانيين 2: 6–8). ولهذا لابد أن تنتظر "راحة الله" عصراً مستقبلياً لكي تتحقق تحقيقاً كاملاً (انظر عبرانيين 4: 9). وتتحرك الأصحاحات 1–11 باتجاه الأسفل، من لعنة إلى أخرى. ويبرز السؤال: "هل يمكن أن يستعيد الإنسان بركة الله؟" أم هل هو متروك ضحية للعنة بلا رجاء؟ يبقى رجاء البركة مع الوعد بأن "نسل المرأة" سينتصر على "نسل الحية" (تكوين 3: 15). . . . رجاءٌ مسياني!

ومع ظهور إبراهيم وبداية العهد في تكوين 12، يأتي وعد البركة بشعاع أمل جديد للإنسان. ومن تلك النقطة فصاعداً، يركّز اللاهوت الكتابي على تحقيق البركة الموعودة. ورجاء بركة الله مزروعة الآن في صدر الإنسان. وحسب المنظور الإلهي، يجب أن ينتظر التحقيق الكامل لوعد البركة مجيء يسوع المسيح، أولاً في الفداء، ثم في المجد. غير أن تطوّر البركة الموعودة يبدأ في سفر التكوين، لأنه يجب أن يكون هنالك "نسل" تأتي البركة من خلاله. وتتتبع البركة الموعودة في تكوين 12–50، على الرغم من أنها لم تتحقق قط، لأن الآباء استمروا في الصراع بين الخير والشر، وبين البركة واللعنة، إلى أن وجدوا أنفسهم أخيراً في مصر، خارج الأرض. ويصل السفر إلى خاتمته ونسل إبراهيم ينتظرون افتقاداً لهم من الله يحررهم ويثبّتهم في الأرض.